بمناسبة
عيد القيامة المجيد

أقامنا معه

❀✚❀

+ «وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ ... وَأَقَامَنَا مَعَهُ» (أف ٢: ٥، ٦).

في ليلة عيد القيامة:

يجتمع المؤمنون معًا في ليلة أعظم الأعياد ليُشاركوا في مجد قيامة المسيح. لقد مضى وقت التوبة والحزن، وفي هذه الليلة نأتي بفرح ويملأ قلوبنا رجاءٌ مقدَّسٌ وثقة. فنتيقَّظ وننتظر لنرى "رجل الأحزان" قد تحوَّل إلى ظافرٍ يجعلنا مُشاركين في نصرته. وتتصف ألحان العيد بقمة الفرح، وتُطيل الكنيسة من هزَّات ألحانها لتتأمل وتُكرِّم فاديها الذي أكمل اليوم خلاصها، وهو ما يُعبِّر عنه **ق. أوغسطين** بقوله: [إننا نُطيل ألحاننا في هذه الليلة، لأن الذي نُكرِّمه بألحاننا سيمنحنا أن نملك معه في حياةٍ أبدية](١).

في هذه الليلة نُحقِّق معموديتنا، لأنه كما أنَّ المسيح مات ليقوم ومعه حياة جديدة؛ فنحن أيضًا قد متنا معه في المعمودية وقمنا في جِدَّة الحياة. وهذه المُمارسة قد أُعطيت لنا عندما تعمَّدنا كبذرة، علينا أن نتعهَّدها لكي تمتدَّ وتنمو على مدى الحياة! إنَّ عبورنا (أي فصحنا) من حالتنا العتيقة إلى حياةٍ جديدة، وطَرْحنا لصورتنا الدنيويَّة لنستبدلها بشخصيةٍ روحانية سماوية فائقة؛ إنما هو موتٌ وقيامة!

اليوم تُضيء شموع الفصح، رمز النور الحقيقي، في موكب دورة القيامة، فهو موكب المفديين، الذي بدورانه في الكنيسة كلِّها، يُشير إلى تبشير المفديين للمسكونة كلها بقيامة الربِّ الذي صار لكلِّ مَن يؤمن نصيبًا فيها! وألحان دورة القيامة تُسبِّح النور العظيم الذي صار مُضيئًا في بيت المؤمنين، لأنه إن كانت الخطية تختبئ في الظلمة والتشويش، فالحياة صارت الآن تُبهج بنورها الذين قادتهم في موكب النصرة: «شُكْرًا للهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ

---

(١)كتابات الآباء مقتبسة من المرجع الرئيسي لهذا المقال، وهو كتاب:
Death and Resurrection, by Vincent A. Yzermans, Minnesota, U. S. A., 1963.

نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ» (٢كو ٢: ١٤). كما أننا نُدرك التغيير الرائع: فنحن نسير من ظلمة الموت إلى بهاء نور الحياة، لأن المخلِّص أعدَّ أرضنا وأعطانا عليها موطئًا أكيدًا لأقدامنا!

المسيحيون الأوائل شهدوا لقيامة الربِّ بواسطة الفرح المجيد الذي ملأ حياتهم. وقد سَرَى فرحهم فينا كالعدوى، إذ أعطوا لنا مثالًا لروح الفرح التي يجب أن نُعيدها لعالمنا المليء بالفساد والتشويش. إنَّ الاحتفال، بل بالحري الفرح والبهجة، بعيد قيامة المسيح، يُشاركنا وينضمُّ إلينا فيه حتى القوات السماويَّة. فالملائكة ورؤساؤهم والقدِّيسون بقاماتهم ورُتبهم، يحتفلون معنا بهذه المناسبة التي كانوا قد وقفوا فيها بتيقُّظٍ منتظرين رجوع المسيح الرب ملك السماء المنتصر من الأرض، بعد أن سبى سبيًا من البشر الذين فداهم، وذلك بعد أن فرحت الأرض بهم لأنهم اغتسلوا بالدم الإلهي. نعم، إنه ملأنا بالفرح في هذا اليوم، لأنه بآلامه خلَّصنا، وبموته وهبنا الخلود، وبقيامته شفى جروحنا ورفعنا معه إلى المجد!

ويقول **ق. إغناطيوس الأنطاكي**: [بمجرد أن لمس تلاميذه جسده وعظامه ونبضه آمنوا، ولهذا السبب ازدروا بعد ذلك بالموت، بل إنهم أظهروا أنهم أسمى من الموت]. وقيامة الرب كانت هي بداية عودته المنتصرة إلى الآب، ولأننا تشكَّلنا على هيئة قيامته، فمُشاركتنا له فيها تعني أننا نحن أيضًا بدأنا فعلًا في العودة إلى أبينا السماوي، كما يقول **ق. أوغسطين**: [قام الرب ليُعطينا رجاءً أنَّ الذي يموت سيقوم أيضًا مرةً أخرى، لئلَّا يجعلنا الموت نيأس ويخدعنا بالظنِّ أنَّ حياتنا قد انتهت! ففي الحقيقة، إننا قلقون على نفوسنا، ولكنه بقيامته أعطانا هذا اليقين... لقد نزل من السماء ليشفينا، وعاد إليها ليرفعنا إليها معه]. وفي إحدى عظات **ق. أوغسطين**، يُثبِّت إيماننا بتأكيده على وحدانية جسد المسيح السرِّي، بقوله: [هو رأس الكنيسة والكنيسة هي جسده، فالمسيح كله الذي يشمل الرأس والجسد (معًا) قام من الموت. إذن، فرأسنا في السماء، وحيثما يوجد الرأس توجد بقية الأعضاء، فلا نيأس لأننا سنتبع رأسنا]!

ماذا نتعلَّم من أحداث القيامة؟

عندما اقتربت المريمات من القبر تزلزلت الأرض: «عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ، وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ» (مت ٢٨: ١و٢). وفي ذلك يقول **ق. هيلاري الذي من بواتييه**: [أشارت الزلزلة إلى قوة القيامة. الآن قد اهتزَّ الجحيم بانزعاج، لأن شوكة الموت قد سُحِقَت، والأماكن المُظلمة قد امتلأت بالنور بقيامة ربِّ القوات]!

ولماذا منع الربُّ مريم المجدلية أن تلمسه، بينما طلب من الرسول توما أن يلمس جروحه؟ سجَّل لنا **ق. أوغسطين** ردَّه على هذا السؤال بمقارنة لطيفة قائلًا:

[بعد أن شكَّ ق. توما الرسول في قيامة الرب، كان سيُرسَل للتبشير بالإنجيل، فكيف كان سيؤسِّس اعتقادًا فيما لم يؤمن به هو نفسه؟ إنه عندما شكَّ، كان يريد أن يحصل على الإيمان باللَّمس. فإذا كان الربُّ قد جاء لكي يُلمَس، فلماذا قال لمريم المجدلية: «لَا تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي» (يو ٢٠: ١٧)؟ فهو يقول لامرأةٍ آمنت: لا تلمسيني، ولرجلٍ لم يؤمن قال: المسني.

عندما نادى الربُّ المجدلية باسمها: «يا مريم»، تعرَّفت في الحال على الرب بالطريقة التي ذَكَرَ بها اسمها ومن صوته المعروف وسلطانه، وبذلك جعلها سعيدة، فأجابت كما اعتادت: «ربُّوني»، أي أنها آمنت. ثم قال لها الرب: «لا تلمسيني». ولكنه لمَّا ظهر لتلاميذه في وجود توما، قال لتوما: «هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلَا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا» (يو ٢٠: ٢٧)، وكأنه يقول: "إن كنتُ لا أُقدِّم دليلًا كافيًا لعينيك، أُقدِّم نفسي ليدك، فلعلك أنت أحد الذين يرتِّلون كلام المزمور: «في يوم ضيقي التمستُ الرب، يدي في الليل انبسطت أمامه» (مز ٧٦: ٣ سبعينية)". فلماذا يبحث بيديه؟ لأنه كان يبحث في الليل. وهذا يعني أنَّ قلبه كان مُثقلًا بظلال عدم الإيمان! وهذا الثِّقَل حلَّ أيضًا على الذين أنكروا أنَّ جسد الرب حقيقي. فالمسيح لم يكن في حاجة أن يحمل ندبات جروح المسامير والحربة في جسده، ولكنه سمح لها أن تبقى لكيما تُمحى جروح عدم الإيمان من قلوب البشر!

لقد احتاجت مريم المجدلية أن تسمع المسيح ينطق اسمها فقط لكي تؤمن أنه قام، فأيُّ فرقٍ نجده بين إيمانها وإيمان تلميذَي عمواس اللذين آمنا بعدها عندما رأياه مرةً عندما كَسَر الخبز؟ لقد رأته مريم وكأنه في حجابٍ من الظلام، وهذان التلميذان رأياه في الخلاء، ومع ذلك فقد آمنت هي وهما أيضًا عند رؤيتهم له. وبعد ذلك ظهر لجميع التلاميذ ولكنهم «ظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا» (لو ٢٤: ٣٧)، ومع ذلك فقد أخرجهم من هذا الانطباع الفارغ وعَهَدَ إليهم بالحقِّ الجليِّ الذي لا يُخطئ.

ولو كان المسيح يريد أن يبقى تلاميذه في الاعتقاد بأنه روح، فأنتم أيضًا يجب أن تعتقدوا بذلك. فالذين يعتقدون بذلك وأنه ظهر كشبح ولم يكن له جسدٌ حقيقي،

يُشاركون التلاميذ في ظنِّهم، فإيمانهم مجروح. فليُشفَ إيمانهم كما حدث مع التلاميذ، لأنهم لمَّا ظنُّوا ذلك، قال لهم: «لِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ» (لو ٢٤: ٣٨)؟ وكأنه قال لهم: "لم يأتِ عدوٌّ من الخارج، بل إن شكوكًا من الداخل خنقت أرواحكم". وكان الربُّ يخاف أنَّ هذه الشكوك تقتل إيمانهم. وأنتم أيضًا يجب أن تخافوا من مثل هذه الشكوك، فإذا كان المسيح الذي يشفينا يخاف من شكوكنا، فعلينا نحن المرضى ألَّا نظل في اللامبالاة بإزائها.

«لِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟ اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ. جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي» (لو ٢٤: ٣٨ و٣٩). فنظروا ولمسوا وآمنوا وبشَّروا به. فكلام الربِّ حقيقيٌّ هو لأنه أَظْهَر جسدًا حقيقيًّا، وندبات جروحه حقيقيةٌ هي، لأنه حَمَل أعضاء جسده حتى إلى السماء. ولكنه لم يحمل معه إلى السماء فساد الجسد، فإنَّ جسده يُعلِن انقضاء الموت.

قال الرب لتلميذه (توما): «طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا» (يو ٢٠: ٢٩). فالذين ستُبشِّرهم بي يا توما سيتفوقون عليك في الإيمان! إنك بعد أن رأيتني ولمستني بالكاد آمنتَ، ومع ذلك فسيُصدِّقك أولئك الذين لم يروني ولا لمسوني قط وسيؤمنون بي!... ولكن لماذا سُمِحَ لتوما أن يلمس دون المجدلية؟ أجاب الربُّ على هذا السؤال بقوله: «لأني لم أصعد بعد إلى أبي». أي: "المسه بالحري وهو صاعدٌ إلى الآب"! وما معنى ذلك؟ لقد أَخَذَ شكل عبد لأجلك، فليس بالأمر العظيم أن يُرى الجسد، فاليهود الذين قتلوا الرب رأوا الجسد، والأمم الذين آمنوا به لم يَرَوْا الجسد، فكأنه يقول للمجدلية: "إذا كنتِ ترينني الآن، أي ترين أعضاء جسدي ووجهي كما تعرفينها، فأنتِ لا تقدرين أن تلمسيني هكذا". وهذا يعني ألَّا تظلِّي على هذا المستوى، ولا تُركِّزي انتباهكِ دائمًا على الجسد، ولا تجعلي ذلك أن يكون هو حدود إيمانكِ! وكأنه يقول لها: "أريدكِ أن تؤمني بي كإنسانٍ، ولكن لا تظلِّي هكذا، بل امتدِّي بيد إيمانكِ ولا تمكثين على هذا المستوى"!

هكذا تلمسه الكنيسة في قانون إيمانها قائلةً: "صعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه". والكنيسة أشارت إليها مريم المجدلية! فلا تَدَع المسيح يظهر لك كإنسانٍ فقط ولا تقف عند هذا المستوى. انهضْ مُسْبقًا وسِرْ إلى الأمام، فالمسيح كإنسانٍ هو

طريقك، والمسيح كإلهٍ هو هدفك وبيتك!][2].

معاني روحية للقيامة:

جدَّدت قيامة الرب وأَصلحت كلَّ خليقته، كما يقول **ق. بطرس كريزولوغس**: [قد رأيتم أنه دُفِنَ حتى لا يمكن أن يقول أحدٌ إنَّ موته كان خياليًّا. وقد جدَّد كلَّ ما في السماء، وأَصْلح كلَّ ما على الأرض، وفكَّ أسْر الذين تحت الأرض (أي الذين في الهاوية) خلال فترة الأيام الثلاثة التي قضاها (بالجسد) في القبر. وبذلك فقد أباح الرب نعمة الثالوث القدوس لكلِّ البشر لأجل خلاصهم].

وق. ذهبي الفم يوضِّح أنَّ النصرة ليست بالعنف والشر، بل باحتمال الظلم بقوله: [ذاك الذي بدا أنه مهزومٌ يوم صَلْبه، ها هو يقوم الآن بنصرة باهرة، هكذا أيضًا هو الأمر معنا. إنَّ الذي يُؤخذ إلى الاستشهاد، ينتصر بتقييده وضربه وتشويه جسده وذبحه. فنحن لا نغلب أبدًا بأن نؤذي الآخرين، بل إننا في جميع الأحوال ننتصر بتحمُّلنا للظلم، وهذا يُظهِر أنَّ النصرة الحقيقيَّة هي من الله. إذن، فلنتبع النصرة الحقيقية التي تُكتَسَب بالآلام الظالمة، ولنهرب من كلِّ عمل شر. وبذلك فإننا نعيش هذه الحياة الحاضرة بكلِّ سكينة، وفي نفس الوقت، ننال كلَّ خيرات الحياة العتيدة بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح].

ويُعتَبَر هذا العيد أعظم عيد للرجاء، وهو يوضِّح الفرق بين النور والظلمة، وبين مجد السماء وعذاب الجحيم. ويقول في ذلك **القديس أمفيلوخيوس** (أسقف إيقونية باليونان: ٣٣٩ – ٤٠٠م): [إن كان الموت قد بدا أنه أمسك بربنا يسوع المسيح؛ إلَّا أنه لم يظل قابضًا على الحياة، فبعودة الرب إلى الحياة يُعيدنا جميعًا إلى الحياة. بإرادته الحُرَّة قبض عليه الموت، ولكنه قام وصار الجحيم فارغًا. بالأمس وهو على الصليب أَظْلَم نور الشمس حتى صار النهار ليلًا. واليوم فَقَدَ الموت قوَّته وبدا أنَّ الموت ذاته تقريبًا قد مات. بالأمس ناحت الأرض وفي حزنها التحفت برداء الظلمة، واليوم «الشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا» (إش ٩: ٢)].

نصرة الرب صارت لنا، وأيضًا مجده صار لنا. لقد سما الرب بنا ورفعنا إليه جاذبًا إيَّانا إلى نفسه، وفيه وجدنا حياتنا الجديدة. ولذلك فإننا نصيح في هذا العيد بملء الفرح: «هَلِّلُويَا، الْخَلَاصُ وَالْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا» (رؤ ١٩: ١)، هذه التسبحة لن تنقطع من

(1) *Sermon 10, On the Faifth Feria of Easter*, Selected Sermons of St. Augustine, p. 61.

أفواهنا في الأبدية، ولكنها تبدأ من هنا! لقد خُلقنا لكي نُسبِّحه، هذا هو فرحنا ومجدنا وقيامتنا! وعلينا أن نواصل هذه التسبحة، ليس في عيد القيامة فحسب؛ بل لتقديس حياتنا بأكملها، وإذا زَحَفَ أيُّ خطأ على حياتنا فلنُحطِّمه على الفور بتوبةٍ صادقة. وهكذا نقوم باستمرار من خطايانا، ونستحق أن نشترك في القيامة الأبدية بأجسادنا المُمجَّدة في المسيح.

قيامة الرب يمكنها أن تُجدِّد كلَّ البشر وتُعيد ولادتهم من جديد: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ» (١بط ١: ٣). والربُّ بقيامته يشحن الجميع بشرارة مجده، إذ يجتذب كلًّا منَّا إلى فرح قيامته. أي إن القيامة لها فاعلية لا تنتهي، فمسيحنا يقول لنا في فجر كلِّ عيد قيامة: «ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (يو ١٦: ٣٣)!

لقد قضينا أيام الصوم الكبير مُكرِّسين أنفسنا في مُعاناة الصوم تابعين المُخلِّص حتى إلى الجلجثة، ولكننا لا يمكننا أن نتوقَّف هناك، فالمسيح قاسَى آلام الصَّلْب كشرط للقيامة، فإنَّ رجل أوجاع جمعة الصلبوت هو ملك المجد لكلِّ الأزمنة. والمسيحي ينبغي أن يتألم، ولكن الألم هو جواز المرور إلى المجد، لأن الفرح والمجد هما جوهر المسيحية، وفي ذلك يقول **ق. أوغسطين**: [الأيام المقدَّسة التي نحتفل فيها بعد عيد القيامة، تُشير إلى الحياة الآتية بعد قيامتنا. فالصوم الكبير قبل العيد، يُشير إلى آلام هذه الحياة المائتة؛ ولكن أيام الفرح التالية، تُشير إلى الحياة العتيدة حيث نملك مع الرب].

حالتنا بعد قيامتنا:

ينبغي أن نؤمن أنَّ أجسادنا سيُنعَم عليها بمجدٍ سماوي بعد قيامتنا. هذا هو رجاؤنا المقدَّس في فرح الحياة العتيدة. هذا هو اليقين الذي يناله كلٌّ منَّا هذه الليلة، لأن مُخلِّصنا قد أعدَّ لنا نصيبًا في قيامته ومكانًا في ملكوته. إنه هو بِكْر الخليقة الجديدة التي انبثقت من قيامته، وقد تنازَل وجعلنا إخوة له ومُشاركين له في تلك الحياة الجديدة. وهكذا يتقوَّى إيماننا ويتجدَّد رجاؤنا ومحبتنا الأخويَّة، لأننا اتَّحدنا في جسد الرب الواحد القائم المنتصر. وهنا يقول **ق. أمبروسيوس**: [إذا لم نَقُم مرةً أخرى يكون المسيح قد مات باطلًا، بل إنه ما كان قد قام من الموت قط. لأنه يقينًا إن لم يكن قد قام لأجلنا، فهو لم يَقُم لأجل أيِّ أحدٍ، حيث إنه لم يكن في حاجة أن يقوم لأجل نفسه وحده. لقد قام الكون كله فيه، لأنه ستوجد سماءٌ جديدة وأرضٌ جديدة]!

ولإلهنا القائم من بين الأموات كلُّ مجدٍ وكرامةٍ من الآن وإلى الأبد، آمين.